الشباب المستسلم لله في قصة الأضحية

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ 2008/12/5م

من شعائر الله تبارك وتعالى في الأيام المُقبِلة شعيرةُ الأُضحية، ولئن كان الحجيج قد توجّهوا إلى بيت الله الحرام مقامِ إبراهيم، فإن الله سبحانه وتعالى أعطى الأمة الإسلامية هذه الشعيرة العظيمة التي تُمثِّل في رمزيتها ومعناها شيئًا كبيرًا، فهي ليست مجرَّد ممارسة يُقصد منها طعام وشراب، لكنها ذِكْر ومُذكِّر.

وكما خلَّد اللهُ سبحانه وتعالى بشعائر الحجّ ما فعلته هاجر أمُّ إسماعيل وأبو ولدها إبراهيم، فإن شعيرة الأُضحية إنما هي تخليدٌ لمعانٍ كبيرة اشترك فيها إسماعيل عليه السلام وأبوه.

ولطالما تحدّثنا عن فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام حينما نذكر هذه الشعيرة، لكنني أردت اليوم أن أقف مع الشابّ الذي كانت الأُضحية فداءً له، فهو الذي قال الله سبحانه وتعالى في حقه:

{ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } [الصافات: 107] فاشتراكُ هذا الشاب في هذا الحدث الكبير الذي خلَّد الله سبحانه وتعالى رمزيته وذكراه قد يكون في شعيرة الأضحية أبلغ وأوضح، لأن الهاء في قوله تعالى: **(وَفَدَيْنَاهُ)** يُقصد بها هذا الشاب المُستسلِم لأمر الله.

قال: { وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } فكانت الأضحية.

والأضحية التي جعلها الله سبحانه وتعالى فداءَ إسماعيل عليه الصلاة والسلام تعيدنا إلى قضية جادّة وحاجة ماسة نحتاجها جميعًا، ألا وهي بناء الشباب، فلم يكن ما سمعناه في هذه القصة، وتكرَّر على أسماعنا كثيرًا، مجرَّدَ حادثة عابرة تستحقّ التعظيم وتستحقّ انتباه القلوب، لكنها في نفس الوقت تُرشد إلى قضية كبيرة، فكيف وصل هذا الشابّ إلى هذه النتيجة؟

ألم تكن هنالك مُقدِّمات يُحتذى بها؟

ألم تكن هنالك أسباب نستطيع أن نستخلص منها عِبرًا ونحن نريد بناء الشباب وإعداده؟

إن الذي يُراجع سيرة إسماعيل عليه الصلاة والسلام منذ أن كان طفلاً حتى شبَّ وبلغ مبلغ الشباب، يجد آياتٍ في القرآن تتحدث وتُفصِّل، وينبغي أن تأخذ من انتباهنا نصيبًا كبيرًا.

واسمحوا لي أن أوجز بعناوين وأنا أقرأ الآيات:

وفي العناوين الإعداد الذي يسبق وجود الشباب المُستسلِم لله، وقد أصبحَتْ أحوالُ الشباب اليوم مُبكِية، لأن هذا الإعداد قد غاب، وعاش الشباب حالة ضياع، تتجاذبهم قوى متعاكسة ومتضادّة، يحار الشابُ بينها: إلى أين يذهب؟ وكيف ستصير حاله؟

وفي عناوين الإعداد:

1 - **البيئة النظيفة سلوكيًّا وعَقَديًّا:** التي تنبت فيها هذه الغرسة، ونقرأ ذلك في قوله تعالى وهو يحكي عن أبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } [إبراهيم: 35] قالها وهو يضع الأمَّ وولدَها في وادٍ غيرِ ذي زرع، وتوجّه إلى الله تبارك وتعالى يطلب لتربيته البيئةَ النظيفة، فحين يكون البلد آمنًا إذًا: فالبيئة هي بيئة نظيفة على المستوى السلوكيّ، لا يوجد فيها غِشٌّ ولا سرقةٌ ولا قتلٌ ولا عدوان، لأن الأمن لا يتحقّق إلاّ حين يكون السلوك نظيفًا، وحين يتلوّث السلوك ستجد اضطراب الأمن، فلا يمكن أن يجتمع في وقت واحد اضطرابٌ سلوكيٌّ وأمن، لأن هذين أمران متضادّان.

قال: { وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } فلا يمكن أن يطلب خليل الرحمن لولده بيئة نظيفة سلوكيًّا والعنوانُ الذي يقبع في البواطن: التوجّه لغير الله.

التوجّه الصادق المُخلِص هو إلى الله وحده، مع ملاحظة أنَّ غير الله مملوك وضعيف، وأن غير الله أدوات في يد قدرة الله، وكلُّ شيء تتوجّه إليه مُعتقِدًا أنه يضرّك أو ينفعك فهو صنمٌ لك، والأصنام ليست كلها من الحجر؛ فكم من الناس من يجعل هواه صنمًا! وكم من الناس من يجعل ماله صنمًا! وكم من الناس من يجعل شهوته صنمًا! وكم من الناس من يجعل أصحاب الجاه أصنامًا له...!

وهكذا يكون العنوان في الإعداد:

إذا أردت أن تُنتج شبابًا مُستسلِمًا لله فلابد أولاً من البيئة النظيفة سلوكيًّا وعَقَديًّا.

2 - **وضوح الانتماء إلى المنهج السليم:** من غير ضبابية، ومن غير غموض، واليوم لا يُعرف في الإنسان - عند كثير من الناس - انتماؤه، بل يتعمّد الناسُ إخفاء الانتماء.

وهكذا يقول سيدنا إبراهيم وهو يضع ولده في ذلك الوادي عند البيت المُحرَّم:

{ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [إبراهيم: 36]

{ فَمَنْ تَبِعَنِي } أي على الحنيفية السمحاء، وعلى السلوك النظيف، وعلى الانتماء إلى التوحيد...

{ فَإِنَّهُ مِنِّي } وأنا منه، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث: **(حسينٌ منّي وأنا منه)**؟

لماذا لم يقل ذلك في حقّ أبي لهب؟

هل كانت القرابة وحدها كافية للانتماء؟

وكذلك ورد في الحديث: **(آلُ محمّدٍ كلُّ تَقِيّ)**، فلا يستحقُّ من انتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجسد و لم ينتسب إليه في المعنى، أن يكون مِن آلِه.

فقوله: { فَمَنْ تَبِعَنِي } أي في السلوك النظيف، وفي الحنيفية السمحاء التي تتوجّه إلى الله، { فَإِنَّهُ مِنِّي } .

ومن أدب الخليل قوله: { وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } أي ليس من شأني هذا، فأنا أُعلن الانتماء إلى الأتقياء، وأعلن انتماء الأتقياء إليّ.

وهكذا يظهر في المنهج كيف يكون الانتماء الواضح في نفس الوقت الذي لا يكون فيه التجريح، إنه منهج إبراهيميّ عجيب، كان عليه رسول الله سيدُنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي سأله مَلَك الجبال أن يُطبق على من آذاه الأخشبين، لكنه قال: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ).

وهو صلى الله عليه وسلم قال لأعدائه: (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ).

3- **أثر المسجد في تربية الشباب:** حين قال وقتها:

{ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ } [إبراهيم: 37]

فالشباب حينما لا يرتبطون بالمسجد لا يُرجى منهم خير، لأن المسجد يُنظِّف بواطن الشباب، ويُهذِّب نفوسهم، ويُلطِّف أرواحهم، فإذا أردنا أن نُعِدَّ شبابًا يبني الوطن ويبني حضارةً ونهضة من غير ارتباط بالمسجد، أعتقد أننا نُغنّي في الهواء.

قال: { عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ } فكان إسماعيل عليه الصلاة والسلام مُلاصقًا وقريبًا من بيت الله (من المسجد)، ولا يُستغرب بعد ذلك أن يُرى منه ما رؤي.

4- **أثر الاختلاط الاجتماعيّ بعيدًا عن الانعزالية والانغلاق:** ونقرأ هذا في قوله تعالى:

{ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ } [إبراهيم: 37] فالشابُّ المُنغلِق المُنعزِل، الذي لا يختلط بالناس، ولا يُحاورهم، ولا يتفاعل معهم... لا تكتمل شخصيته.

وقد رأينا على مستوى الممارسة كيف تكون الشخصية طفوليةً وناقصةً حينما لا تكون اجتماعيةً في طفولتها، فلابد من وجود الإنسان بين الناس، لأن الإنسان خلقه الله تعالى كائنًا اجتماعيًّا.

وهكذا ألهم الله سبحانه وتعالى الخليل أن يدعو بهذا الدعاء، حتى لا يعيش ولدُه وحيدًا ومُنغلِقًا لا يجتمع بالناس، لكنه طلب الناس لأن الاختلاط الاجتماعيّ يساعد في بناء الشخصية.

5- **أثر النماء الاقتصاديّ:** ولا ينبغي أن نُهمل هذا الجانب أبدًا، لأن الله سبحانه وتعالى صرّح بأن الاقتصاد سبب قيام حين قال سبحانه: { وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا } [النساء: 5]

ونأخذ هذا العنوان من قول الخليل لحظة وضع ولده: { وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ. . }

فلابد في بناء الشخصية من مراعاة هذا الجانب، وقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أفضلَ دينارٍ تنفقه دينارٌ تنفقه على عيالك، وذلك حين نوظِّف الإنفاق ليكون في العِلْم، وليكون في بناء الشخصية، لا ليكون في مجرَّد الثياب والطعام، بل ليكون في بناء الإنسانية بمعانيها السامية.

{ . .لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ } [إبراهيم: 37] أي لعلهم يستعملون هذا الرزق فيما تحبّه وترضاه من الطاعة، فحقيقة الشكر أن تُنفق النعمة فيما يرضاه الله، وعدمُ شكر النعمة أن تنفقها في مخالفة أمر الله.

6- **أثر نوع التوجّه والإرادة عند الأبوين:** ونأخذ ذلك من قوله تعالى وهو يحكي عن الخليل:

{ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ } [الصافات: 99]

وحين لا يكون الأبوان على مستوى التوجّه إلى الله سيكون هذا مُؤثِّرًا في نماء الشخصية.

فموسى عليه الصلاة والسلام كان ثمرة أمه، وإسماعيل كان ثمرة أمه وأبيه، فكان الأبُ متوجّهًا إلى الله وكانت الأم كذلك تتوجّه إلى الله بقلبها ولا تتوجّه إلى سواه، وهذه الإرادة والتوجّه لابد أنها ستنعكس على الأبناء والذريّة.

7- **أثر الدعاء:** فقد طلب خليل الرحمن - قبل أن يولد إسماعيل وقبل أن يولد إسحاق - من الله سبحانه وتعالى فقال: { رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ } [الصافات: 100] فما طلب الولد لأنه ولد، ولكنه طلب الولد الصالح.

ألا تذكرون يوم قال نوحٌ عليه الصلاة والسلام: { رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ } [هود: 45] ما الذي أجابه ربنا؟

قال: { إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ } [هود: 46]

انظروا كيف يؤكّد القرآن على الصلاح، وكيف يطلب خليل الرحمن ويقول: { رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ } ، وتأتي البشارة: { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ } [الصافات: 101] فبشّره ربّنا تبارك وتعالى بإسماعيل عليه الصلاة والسلام، فما بشَّره بغلام، إنما بشَّره بغلام حليم، أي أخبره أن هذا الغلام مُتخلِّق بالأخلاق المُعتبَرة بمفهوم الصلاح الذي طلبه من الله، لأن الحِلم لا يوجد إلاَّ مُندرِجًا في أخلاق الصالحين.

وجاء الاختبار بعد الإعداد:

- { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ } أي شبَّ وصار بين الشباب، وبلغ المَبْلغ الذي يسعى فيه مع أبيه، ومن نظر إلى سعيه يراه كسعي أبيه إبراهيم.

- { قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ } وهنا يأتي الاختبار بعد الإعداد الطويل، فالاختبار من غير إعداد لا قيمة له، كالطالب الذي يريد أن يتقدّم للامتحان من غير دراسة، ومن غير مداومة على التعلُّم.

جاء الاختبار وقد أصبح شابًّا مفتول العضلات، وتخرّج من المسجد، واختلط بالناس، وأصبح الانتماء لديه واضحًا...

جاء الاختبار بعد إعداد استغرق زمان طفولته وقبيل شبابه.

{ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ } ورؤيا الأنبياء وحيٌ من الله وأمرٌ تكليفيٌّ ولا يُقاس عليها أبدًا.

- ثم قال: { فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى } [الصافات: 102] أنا أرى أمرَ الله أن تكون ذبيحًا، فماذا تقول أيها الشاب؟

هل هرب هذا الشاب المتمكن في قوته وقال: لا.. بل أريد أن أعبد الله عند بيته الحرام، وأريد أن أكثر من الصلاة، وأريد أن أكثر من الذِكر...؟

إنه أمام أمرٍ شاقّ لا تستطيع النفوس عادة أن تتحمله: الله يأمرك أن تكون ذبيحًا.

هذا ما أراه.. أنا أرى أمر الله، فانظر ماذا ترى في الانفعال لأمر الله، وفي استعدادك لتلبية أمره.

أنا أرى أمر الله، فماذا ترى أيها الشاب في مقتضى هذا الأمر؟

هاهنا تظهر نتيجة الامتحان، والتي أريد لكلِّ شابٍّ ينظر إلى نفسه على أنه مسلم ومؤمن ومحسن ومُنقاد لأمر الله... أن يسمعها.

أيها الشاب كم ترى كل يوم من الاختبارات؟!

أيها الشاب أنت تسمع قوله تعالى: { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ } [النور: 30] وهو أقلُّ من الذبح.

أنت تسمع: { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا } [الإسراء: 32] وما قال: ولا تزنوا.

أنت تسمع: { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } [طه: 114]

أنت تسمع: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } [العلق: 1]

أنت تسمع: { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ } [هود: 112]

هذا أمر الله، فانظر أيها الشاب ماذا ترى؟

فإمامُك الشابُّ إسماعيل، فقد كان الأمر الذي يتوجّه إليه: ستُذبح، وأَمامَك من الأوامر الكثيرة التي كلها أقل من هذا الأمر، فهل تتَّبع إمامَك الشابَّ إسماعيل، أم تتَّبع شيطانَك ونفسَك؟

انظر أمام أمر الله، ماذا ترى؟ فكلما سمعت في كتاب الله تعالى أمرًا، تذكَّر هذا الشاب إسماعيل.

وليتنا نبحث عن سِير الشباب في القرآن، لنرى الشاب موسى الذي سقى للفتاتين وهو عفيف.

وليتنا نقرأ سيرة الشابّ يوسف الذي قال: { مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي } [يوسف: 23]

وليتنا نقف طويلاً عند سيرة الشاب إسماعيل الذي يقف أمام أمر الذبْح، ويشاء الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الاختبار مشترَكًا: تقف فيه الأبوة بعاطفتها، ويقف فيه الشباب الناضج الذي كانت تربيته وإعداده بأحسن حال.

وهاهنا يرسم القرآن الصورة:

- { قَالَ يَا أَبَتِ } فيخاطبه بأقرب الأوصاف، ثم يقول: { افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ } .

وهنا أخاطب الآباء وأقول: افعلوا ما تؤمَرون.. لا تأمُروا، إنما افعلوا ما تؤمرون..

فمتى يصبح الآباء مأمورين من الله لا آمرين؟

ومتى نجد الأب والأم وكلٌّ منهما مأمورٌ لا آمر؟

ومتى نتخلص من العنجهية والاعتداد بالرأي حين يصطدم الأب بأمر الله ورسوله فيقدّم هواه على أمرهما؟

إن إسماعيل لم يكن يُنفِّذ أمر أبيه، لكنه كان يُنفِّذ أمر الله الذي أمره وأمر أباه، فقال: { يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ }

فحين يتشرّع الأب ويكون وقّافًا عند حدود الله، يتشرّع الأبناء ويصيرون وقّافين عند حدود الله، لكن حين يريد الأب أن يُطاع في معصية الله، يستطيع الولد أن يبقى مُصاحبًا لأبيه وأمه بالمعروف من غير أن يكون مُخالِفًا لأمر الله.

- { سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } [الصافات: 102] أي ستجدني على الوصف الذي يُرضي الله ويسرّك، لأنك تريدني في وصف الصالحين، ووصفُ الصالحين فيه وصفُ الصبر، وفيه وصفُ الشُكر، وفيه وصفُ الحِلم، وفيه وصفُ التوجّه إلى الله...

- ثم قال: { فَلَمَّا أَسْلَمَا } وانظر إلى تسليط الضوء على قلبيهما: أسلمت الأبوة الكاملة لله، وأسلم الشباب المُدرَّب على طاعة الله لله، فاستسلم قلب الأب الحاني لكنه يُقدّم أمر الله، وأسلم قلب الشابّ المُدرَّب المتوجه إلى الله.

إنها حالة استسلام القلب: { فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء: 65]

- { فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ } [الصافات: 103] إنها حالةُ تنفيذ الأمر في أقصى ما يستطيعه الإنسان، فالأبوة الحانية عند أمر الله تُنفِّذ بقوة.

و(**تَلَّهُ**) عبارةٌ تفيد الأمر بقوة، فكان الشابُّ مبالِغًا في الاستسلام والانقياد لأمر الله، كما كان الأب مبالِغًا في تنفيذ أمر الله بقوة، لأنه حين تلّه للجبين لم يكن يعارك، و لم يكن يتمنّع، و لم يكن يتوقّف... لكنه كلما تلّه للجبين ازداد انقيادًا.

- ثم قال: { وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } [الصافات: 100-107]

فجاء في هذا الآية خطابان: خطابُ مكافأة للأب، وخطابُ مكافأة للولد الشاب.

* أما خطاب المكافأة للأب فكان في قوله: { قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } فأثنى عليه بوصف الإحسان.

* وأما خطاب المكافأة للشابّ المنقاد لأمر الله، فكان في قوله: { وَفَدَيْنَاهُ } وما أحلى أن يكون الذي يفديك ربّك!

يا أهل الفداء، حين تكونون على مستوى الفداء، تجدون في مقابل فدائكم فداءً.

{ وَفَدَيْنَاهُ } إنها كلمةٌ لا يقولها إلاّ حبيبٌ لحبيبه، لأنه لا يفدي أحدٌ أحدًا إلاّ إذا كان مُحبًّا.

وهكذا يتنـــزل خطاب الحبّ: { وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } .

وما الذي حصل بعد الاختبار؟

كان الإعداد، ثم كان الاختبار، فما الذي كان بعد الاختبار؟

لقد بُني بيتُ الله، فكان الباني لبيت الله كليهما: إبراهيم وإسماعيل، الأب وهذا الشاب، فكلاهما نجح في الاختبار، فاستحقّا أن يُكرّما ليكونا بُناة البيت بيتِ الله، قال تعالى:

{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [البقرة: 127]

فهو يُكرمهما ببناء بيته ويُكرمهما بتطهير بيته، يقول سبحانه:

{ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [البقرة: 125]

ويخصُّ فيما يخصّ إسماعيل، الذي هو نموذجنا الشاب، فيتحدّث عنه وهو يبني بيته فيقول:

{ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ } يُخاطب سيدَنا محمدًا صلى الله عليه وسلم ومن تبعه، { إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا، وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ } وهكذا تُبنى البيوت، { وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا } [مريم: 54-55].

والذي يجتاز الاختبار يكون مُرشّحًا لبناء حياتَين: معنوية وحسيّة.

هذا هو الدرس.

أيها الشباب: إذا استطعتم اجتياز الاختبار فأنتم مُرشَّحون لبناء حضارة.. لبناء نهضة.. لبناء أسرة.. لبناء مجتمع... وحين تفشلون في الاختبار لن تكونوا بُناةً.

إسماعيل بنى مع أبيه بيت الله، وبنى بيته وأسرته.

وأنتم أيها الشباب، حينما تقتدون بإسماعيل - وأنتم تُقبلون على ذكرى إسماعيل في الأضحية - استشعروا هذا المعنى وتذكَّروه، وإياكم أن تقفوا مع الأضحية طعامًا وشرابًا، إنما تذكّروا رمزيتها، وتذكّروا أنها كانت فداءً لإسماعيل.

وحين تجتازون الاختبار تقدرون على البناء.

أمتنا تحتاج إلى بناء، فأين البُناة؟

أمتنا في تخلُّف.. أمتنا في فوضوية.. أمتنا في شتات..

فأين أنتم أيها الشباب الذين يجتازون الاختبار؟

رُدّنا اللهمَّ إلى دينك رَدًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.